خطبة بعنوان

حول حديث:[(إذا تبايعتم بالعينة)]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}

ثم اعلموا عباد الله:إن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ،وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فقد روى أبو داود وصححه الإمام الألباني رحمه الله عَنِ ابْنِ عُمَرَ ،رضي الله عنهما قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **" إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ "**.

بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث العظيم عددا من أسباب الذل الذي يصيب المسلمين في بعض الأزمنة،وقد أصاب المسلمين في هذا الزمان ما لا يخفى على أحد من الذل والهوان، وكأن الحديث يشرح حال الناس في هذا الزمان،ومن المعلوم شرعا وعقلا أن الذنوب والمعاصي هي

سبب دمار الشعوب،فكم أهلك الله من الأمم بسبب ذنوبهم،قال عز مِن قائل في كتابه الكريم: { فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }[سورة العنكبوت : 40]

فإن قال قائل هذا الوعيد كان في حق الكفار،قلنا قد جاء الوعيد في حق المؤمنين إن هم عصوا ربهم،أو تركوا أوامره.

قال تعالى: { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ }[سورة الأنعام : 65]

وروى البخاري عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ }. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ". قَالَ : { أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ }. قَالَ : " أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ". { أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ }. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " هَذَا أَهْوَنُ ". أَوْ : " هَذَا أَيْسَرُ ".

وقال تعالى: { وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ }[سورة الشورى : 30]

وفي الحديث السابق ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أمورا هي من أسباب ذل المسلمين إن هم عملوها،وهي التعامل بالربا والانهماك في الدنيا والانشغال بها عن الدين،وترك الجهاد في سبيل الله.

-فقوله صلى الله عليه وسلم :" إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ"،العينة نوع من أنواع الربا، وهوأن يبيع لرجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى، ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذي باعها به،حيلة على الربا بطريقة غير مباشرة.

فالربا يا عباد الله سبب من أسباب الذلة والهوان،وما أكثر الربا في أوساط المسلمين،حدِّث ولا حرج،فإنه ما من بلاد ولا مصر من أمصار المسلمين إلا وفيه تعامل بالربا،بل قد شيدت له أماكن ومحلات بلا نكير، وهو ما يسمى بالبنوك، وهذه البنوك كلها ربوية، ليست إسلامية كما يزعم أصحابها

ويلبسون على الناس فيها،فلا يجوز وضع الأموال في هذه البنوك ياعباد الله،فمن وضع ماله فيها ولو بغير فائدة فقد تعاون معهم على الإثم والعدوان.

فيا عباداللّٰه: إن الله تبارك وتعالى لم يحارب إلا المرابين؛ لأنه أكل لأموال الناس بالباطل،ومن يطيق حرب الله، قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (278) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279) }**[سورة البقرة : 278 إلى 279]

فمعصية الربا سبب لدمار الشعوب والأفراد؛وذلك لأن الله توعد المرابين بحربه،ومن يطيق حرب رب العالمين سبحانه وتعالى،والربا من أكبر الكبائر، ومن المهلكات وسبب للذلة وتسلط الأعداء،فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ،رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ : **" اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ "**. قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : **" الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ "**.

-وقوله صلى الله عليه وسلم:"ورضيتم بالزرع"أي إذا رضيتم بالزرع وهو كناية عن الانشغال بالدنيا عن الدين وعن الطاعات وعن الجهاد فإن هذا سبب للذل،فإن الانهماك بالدنيا مهلكة كما أخبر الله في كتابه الكريم:**{ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }**[سورة البقرة : 195]

قَالَ أَبُو أَيُّوبَ الأنصاري،رضي الله عنه، : إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ : لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، قُلْنَا : هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : { **وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** }. فَالْإِلْقَاءُ بِالْأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ : أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحَهَا، وَنَدَعَ الْجِهَادَ. قَالَ أَبُو عِمْرَانَ : فَلَمْ يَزَلْ أَبُو أَيُّوبَ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ.رواه أبو داود

فيا عباد الله إن الدنيا فتنة، فُتن بها كثير من الناس،بسببها ضيع كثير من الناس أنفسهم ،بل بعضهم باع دينه بدنياه والعياذ بالله،ومن هذا الباب دخل اليهود والنصار على أصحاب الأطماع الدنيوية فمسخوهم عن دينهم

وغزوهم بالأموال وألهوهم بالمناصب ونحوها حتى أفسدوهم،فقد روى الترمذي عَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " **إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ** ".

وروى الترمذي عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ ،رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ** ".

والله سبحانه وتعالى يقول: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ }**[سورة فاطر : 5]

والمعنى لا تلتهوا بها عما أوجب الله ولا تنشغلوا بها عن دين الله،فإن فعلتم فإنكم خاسرون.

-قوله صلى الله عليه وسلم:"وأخذتم أذناب البقر" وهذا أيضا كناية عن الدنيا حيث ركنوا إليها وانشغلوا بالحرث والزرع ومشوا خلف أذناب البقر وتركوا ركوب الخيل ونسوا الجهاد في سبيل الله،والخيل في نواصيها الخير،ولقد كان رزق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته تحت ظلال سيوفهم،ولهذا قال عليه الصلاة والسلام **:"وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ** ".

وقوله:**(وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع)** حمل بعض أهل العلم هذا على الاشتغال بالزرع في زمن يتعين فيه الجهاد..وإلا فالعمل في المزارع والأخذ من الدنيا ليس ممنوعا،وإنما المحذور الانشغال بها عما أوجب الله.

وقال بعض أهل العلم في قوله:**(سلط الله عليكم ذلا)**.. سبب هذا الذل والله أعلم أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على كل دين عاملهم الله بنقيضه وهو إنزال الذلة بهم فصاروا يمشون خلف أذناب البقر بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعز مكان"ا.ه

فيا أمة الإسلام اعلموا أن عزكم بالجهاد في سبيل الله،فكيف تركتم مادة عزكم ونصركم؟ وتسببتم في ذلكم وتسلط الأعداء عليكم،ثم اعلموا أن الكفار لن يتركوكم ولن يقفوا عند حدهم إلا بجهادهم،قال الله:**{ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم**

مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ }[سورة الأنفال : 60]

ولابد من الإعداد الديني قبل الإعداد الحسي،وهو التمسك بالكتاب والسنة وتحقيق الإيمان بالله وتوحيد الله، والأعمال الصالحة هذه هي أعظم أسباب النصر.

ثم اعلموا ياعباد الله أن اليهود لن يخرجوا من فلسطين إلا بالقوة،ولن يسلموا الأقصى إلا بالجهاد في سبيل الله،لن يخرجوا إلا كما خرج أسلافهم،وهم يهود بني النظير حيث أخرجهم النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة ثم من خيبر،إنهم لن يتركوا إخواننا في غزة حتى نقتلهم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بأسلافهم،وهم يهود بني قريظة،حيث غدروا به ونقضوا العهد بينهم ولينه، فقتل رجالهم وغنم أموالهم وسبى نساءهم،كما أخبر الله في كتابه الكريم: { وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (27) }[سورة الأحزاب : 26 إلى 27]

فهذا هو الحل مع أعداء هذه الملة من الصهاينة الغاصبين والنصارى المعتدين وحلفائهم من الزنادقة والمنافقين،والملاحدة المشركين، فإن جهادهم من أعظم شعائر الدين،فقد روى الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ " قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : " رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ "**

أي أن الجهاد أعلى شيء فيه،فلن يقوم الدين إلا بالجهاد،فقد بدأ الدين غريبا فأقامه الله بالجهاد،وسيعود غريبا،ولن يقوم إلا بالجهاد،والجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة،قال تعالى:. { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }[سورة التوبة : 29]

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }[سورة التوبة : 123]

وقال تعالى: { فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ }[سورة محمد : 4]

فالجهاد له فوائد كثيرة منها: العز لأهل الإسلام،وفيه أجور عظيمة وهي جنة عرضها السماوات والأرض،قال سبحانه: { ۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }[سورة التوبة : 111]

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **" إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،"**

والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون،كما أخبر الله في كتابه الكريم: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171) }[سورة آل عمران : 169 إلى 171]

وللشهيد خصال ليست لغيره،كما عند الترمذي عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ،رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ : يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ ".**

وغير ذلك من الفضائل والأجور المترتبة على الشهادة،التي زهد فيها كثير من المسلمين،فلقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسابقون على الشهادة كما يتسابق الناس اليوم على المناصب،فقد روى مسلم عن أَنَسِ بْنِ

مَالِكٍ ،رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم بدر: **" لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ "**. فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ "**. قَالَ : يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ؟ قَالَ : **" نَعَمْ "**. قَالَ : بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ : بَخٍ بَخٍ ؟ "** قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ : **" فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا "**. فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ : لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ : فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ، حَتَّى قُتِلَ.

وروى الإمام أحمدعَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ : أُهَاجِرُ مَعَكَ. فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيًا، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : **" قَسَمْتُهُ لَكَ "**. قَالَ : مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا - وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ - بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ. فَقَالَ : **" إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ "**. فَلَبِثُوا قَلِيلًا، ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْمَلُ، قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" أَهُوَ هُوَ ؟ "** قَالُوا : نَعَمْ. قَالَ : **" صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ "**. ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ : " اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ "

" صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ "{ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا }[سورة الأحزاب : 23]

ومن هؤلاء الرجال الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه: أنس بن النظر رضي الله عنه،كما عند البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ : يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ. قَالَ سَعْدٌ : فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ. قَالَ أَنَسٌ : فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ،

أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ، وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ . قَالَ أَنَسٌ : كُنَّا نُرَى - أَوْ نَظُنُّ - أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ : { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ } إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

والأمثلة في ذلك كثير،والجهاد يكون بالسيف والسنان ،وبالحجة والبيان،ويكون بالنفس والمال،ويكون بالنية الصادقة،فيكتب للعبد الأجر بنيته الصالحة ولو لم يجاهد، إنما الأعمال بالنيات،فقد روى مسلم عن سهل بن حنيف رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ** "

فيجب على المسلمين أن يتحدوا ثم يتمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم ثم يصححوا معتقدهم ويوحدوا منهجهم وينبذوا التحزبات والفرقة بينهم ثم يعلنوا الجهاد ضد أعداء الإسلام وإلا فالدمار عليهم،فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ،رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ** "

وهنا تنبيه:لا يكون الجهاد ناجحا،إلا أن يكون شرعيا، وهو أن يكون تحت راية شرعية، وبقيادة إمام مسلم، وبفتاوى شرعية من علماء ربانيين راسخين في العلم متجردين للحق والدليل،يقدّرون المصالح والمفاسد،ويعرفون العواقب الحميدة،ويتوقعون النتائج الإيجابية،ليسوا حماسيين متهورين، ولا أصحاب فوضى طائشين،كما قال الله في كتابه الكريم: **{ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا }**[سورة النساء : 83]

وأولو الأمر هم أصحاب الرأي والعلم من العلماء والنصحاء،فهم الذين مدحهم الله ورفع قدرهم وأعلى مكانتهم؛لأنهم أخشى الناس لربهم وأعرف الناس بمولاهم وأسبق الناس إلى طاعته،وأعرف الناس بدينه،فإنهم هم الذين يعرفون الفتنة قبل مجيئها،وهم الذين أشهدهم على توحيده،قال تعالى:**{ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }**[سورة آل عمران : 18]

وقال تعالى: **{ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو**

الْأَلْبَابِ }[سورة الزمر : 9] فيجب الرجوع إلى العلماء في المعضلات،وعدم مخالفتهم عند المهمات،وانظروا إلى مخالفة الرماة للنبي صلى الله عليه وسلم في عزوة أحد،ماذا نتج عنها؟ فقد تحول النصر إلى هزيمة شنيعة، وقُتل سبعون من خيار الصحابة، على رأسهم حمزة أسد الله وأسد رسوله،بل كاد النبي صلى الله عليه وسلم أن يُقتل فسلمه الله عزو وجل،وكل ذلك بسبب مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفة أميرهم وهو عبد الله بن جبير رضي الله عنه إذ خالفوا أمره، وهكذا لو أن الناس رجعوا إلى علمائهم في هذا الزمان لما حصلت هذه الفتن،فإنه لماخرجت الشعوب على حكامهم صاح العلماء وحذروا من الخروج حتى بحت أصواتهم،فحصلت فتن عظيمة وأزمات شديدة أهلكت الحرث والنسل لا يزال المسلمون يعانون منها إلى اليوم،وندم الناس وتمنوا لو أنهم أخذوا بتوجيهات علمائهم والله المستعان.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين،ولا عدوان إلا على الظالمين،وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين،وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إمام المتقين ،وقائد الغر المحجلين،وسيد المرسلين،عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد:

فلا زلنا حول حديث ابْنِ عُمَرَ ،رضي الله عنهما قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **" إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ "**. رواه أبو داود وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

وتكلمنا عما يسر الله من معانيه، وعرفنا كثيرا من فوائده،ونتكلم الآن حول ما يتعلق بقوله صلى الله عليه وسلم: **"سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ "**أي أنه إذا ارتكب المسلمون المعاصي ومنها الربا وانهمكوا في الدنيا وتركوا الجهاد في سبيل الله سلط الله عليهم الذلة والهوان إلى أن يتركوا هذه الأمور ويراجعوا دينهم،ومراجعة الدين هي أن يتمسكوا به فيمتثلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه ،ويعملوا بأحكامه،ويقفوا عند حدوده.

فيستفاد من الحديث أن المعاصي سبب للذل وتسلط الأعداء ،وأن التمسك بالدين وإقامة شعيرة الجهاد سبب للعز والنصر على الكافرين.

ويستفاد من قوله:**" سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ "** أن الأعداء من الكفار والمشركين سيتسلطون على المسلمين في حال ضعفهم وبعدهم عن دينهم،وعلى هذا فلا قوة لهم إلا بالله وبطاعة الله والرجوع إلى دين الله والتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم،فقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»** .

فمن تمسك بهذين الأصلين فلن يضل في الدنيا، ولن يضل أيضا في الدين، ولن يشقى في الآخرة،فالتمسك بهما نجاة،والإعراض عنهما هلاك،قال الإمام مالك رحمه الله:" السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق".

وروى الإمام مسلم عن عُمَر رضي الله عنه قال: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ : **" إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ "**.أي: أن الله يرفع أهل القرآن الحافظين له،العاملين به،الداعين إليه،وينصرهم على أعدائهم، ويؤيدهم في الدنيا والآخرة،ويضع من لم يهتم بالقرآن.

فالنصر والعز ياعباد الله منوط بالعمل بالقرآن وبالإيمان،لا بالأغاني والعصيان،العز بتوحيد الواحد الديان،لا بالشرك وعبادة القبور الأوثان،العز باتباع النبي العدنان،لا بالبدع واتباع حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام، **يَرْفَعُ الله بالقرآن أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**،ترك لنا النبي صلى الله عليه وسلم شيئين لن نضل ولن نشقى ما إن تمسكنا بهما.

-ومن أسباب ذلة المسلمين وجود الغثائية في صفوفهم،وهم الذين لا هَمَّ لهم إلا بطونهم وفروجهم وشهواتهم،أناس متفرقون متحزبون،يتابعون الموظات الغربية،وملاعب الكرة، والنوادي والمسلسلات،وأصحاب الشبهات والشهوات،وتركوا المساجد وضيعوا الصلوات ،لايهمهم نصرة دين الله ولا إعلاء كلمة الله،الكثير منهم حول البدع والمحدثات،والمظاهرات والاعتصامات،التي هي إحياء لعادات الكفار، وسبيل للتشبه بهم،التي ما تزيد

الطين إلا بلة، ولا تزيد المسلمين إلا ذلة، هذا هو الغالب على الشعوب الإسلامية إلا من رحم الله، ولذلك تكالب عليهم الأعداء وتداعوا عليهم، واستذلوهم ولم يهابوهم كما كانوا يهابون من كان قبلهم،وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بحال هذه الأمة التي ستكون هذه صفاتهم قبل أربعة عشر قرنا،حيث شبههم بغثاء السيل الذي يأتي في مقدمة السيل من القمائم والأعواد والزبد والخرق التي لا ينتفع بها الناس،وإنما يرمي بها السيل يسرة ويمنة،هؤلاء هم الغثائية الذين لا يُرجى منهم نصرة دين الله،بل هم السبب في انهزام المسلمين وذلهم أمام أعدائهم، وكذلك شبههم الله تعالى بالغثاء والخبث الذي يخرج من الذهب والفضة عند تصفيته في النار،فالسيل والذهب والفضة هو الذي ينتفع به الناس، والزبد والغثاء والصدأ لا ينتفع به الناس،بل يتضررون منه، قال تعالى:**{ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ }**[سورة الرعد : 17]

وروى أبو داود وأحمد عن ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ".** فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : **" بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ ".** فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : **" حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ".**

اللهم أعز الإسلام والمسلمين،وأذل الشرك والمشركين،اللهم رد المسلمين إلى دينك ردا جميلا،اللهم ردنا إلى دينك ردا جميلا،اللهم خذ بأيدينا إلى كل خير،وادفع عنا كل شر وضير،اللهم انصر الإسلام والمسلمين،اللهم عليك باليهود والنصارى والصليبيين،اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك،اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك،اللهم رد كيدهم في نحورهم واجعل الدائرة تدور عليهم،وزلزلهم واقذف الرعب في قلوبهم،وأفشل خططهم،وبور مكرهم،واجعل بأسهم بينهم وفرق جمعهم وأوهن شوكتهم وشتت شملهم ياقوي يامتين.